

تفسير ابن كثير

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله لأن بعض ذلك يكون إثما محضا فليتجنب كثير منه احتياطا وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب B أنه قال : ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا وأنت تجد لها في الخير محملا وقال أبو عبد الله بن ماجه : حدثنا أبو القاسم بن أبي ضمرة نصر بن محمد بن سليمان الحمصي حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي قيس النضري حدثنا عبد الله بن عمر Bهما قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول : [ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا] تفرد به ابن ماجه من هذا الوجه وقال مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة B قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباعضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا] رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن العتيبي عن مالك به .

وقال سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس B قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباعضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام] رواه مسلم والترمذي وصححه من حديث سفيان بن عيينة به وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله القرمطي العدوي حدثنا بكر بن عبد الوهاب المدني حدثنا إسماعيل بن قيس الأنصاري حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الرجال عن أبيه عن جده حارثة بن النعمان B قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ثلاث لازمت لأمتي : الطيرة والحسد وسوء الظن] فقال الرجل : وما يذهبن يا رسول الله ممن هن فيه ؟ قال صلى الله عليه وسلم : [إذا حسدت فاستغفر الله وإذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض] وقال أبو داود : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن زيد B قال : أتني ابن مسعود التجسس عن نهينا قد : الله رضي الله عنه فقال خمرنا لحيته تقطر فلان هذا : له فقيل برجل B ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به سماه ابن أبي حاتم في روايته الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم حدثنا ليث عن إبراهيم بن نشيط الخولاني عن كعب بن علقمة عن أبي الهيثم عن دخين كاتب عقبة قال : قلت لعقبة : إن لنا جيرانا يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط فيأخذونهم قال : لا تفعل ولكن عطهم وتهدهم قال : ففعل فلم ينتهوا قال : فجاءه دخين فقال : إني قد نهيتهم فلم ينتهوا وإني داع لهم الشرط فتأخذهم فقال له عقبة

: ويحك لا تفعل ؟ فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : [من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا مؤدّة من قبرها] ورواه أبو داود والنسائي من حديث الليث بن سعد به نحوه وقال سفيان الثوري عن ثور عن راشد بن سعد عن معاوية B قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم] فقال أبو الدرداء B كلمة سمعها معاوية B من رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم نفعه الله تعالى بها ورواه أبو داود منفردا به من حديث الثوري به .

وقال أبو داود أيضا : حدثنا سعيد بن عمرو الحضرمي حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمرو بن الأسود والمقدام بن معد يكرب وأبي أمامة B هم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم] { ولا تجسسوا } أي على بعضكم بعضا والتجسس غالبا يطلق في الشر ومنه الجاسوس وأما التجسس فيكون غالبا في الخير كما قال D إخبارا عن يعقوب أنه قال { يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ﷻ } وقد يستعمل كل منهما في الشر كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم قال : [لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا] وقال الأوزاعي : التجسس البحث عن الشيء والتجسس الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون أو يتسمع على أبوابهم والتدابير : الصرم رواه ابن أبي حاتم عنه .

وقوله تعالى : { ولا يغتب بعضكم بعضا } فيه نهي عن الغيبة وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود : حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله ﷺ ما الغيبة ؟ قال صلى الله عليه وسلم : [ذكرك أخاك بما يكره] قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال صلى الله عليه وسلم إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته [ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي به وقال : حسن صحيح ورواه ابن جرير عن بNDAR عن غندر عن شعبة عن العلاء وهكذا قال ابن عمر Bهما ومسروق وقتادة وأبو إسحاق ومعاوية بن قرّة وقال أبو داود : حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني علي بن الأقرم عن أبي حذيفة عن عائشة Bها قالت : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال غير مسدد : تعني قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم : [لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته] قالت : وحكيت له إنسانا فقال صلى الله عليه وسلم : [ما أحب أني حكيت إنسانا وإن لي كذا وكذا] ورواه الترمذي من حديث يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع ثلاثتهم عن سفيان الثوري عن علي بن الأقرم عن أبي حذيفة سلمة بن صهيب الأرحبي عن عائشة Bها به وقال : حسن صحيح .

وقال ابن جرير : حدثني ابن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان

الشيواني حدثنا حسان بن المخارق أن امرأة دخلت على عائشة Bها فلما قامت لتخرج أشارت عائشة Bها بيدها إلى النبي A أي إنها قصيرة فقال النبي A [اغتبتها] والغيبة محرمة بالإجماع ولا يستثنى من ذلك إلا من رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل والنصيحة كقوله A لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر : [ائذنوا له بنس أخو العشيبة !] وكقوله A لفاطمة بنت قيس Bها وقد خطبها معاوية وأبو الجهم : [أما معاوية فصعلوك وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه] وكذا ما جرى مجرى ذلك ثم بقيتها على الترحيم الشديد وقد ورد فيها الزجر الأكيد ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت كما قال D : { أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه } أي كما تكرهون هذا طبعاً فاكروهه ذاك شرعاً فإن عقوبته أشد من هذا وهذا من التنفير عنها والتحذير منها كما قال A في العائد في هبته : [كالكلب يقيه ثم يرجع في قيئه] وقد قال : [ليس لنا مثل السوء] وثبت في الصحاح والحسان والمسائيد من غير وجه أنه A قال في خطبة الوداع : [إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا] .

وقال أبو داود : حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ A : [كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه حسب امرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم] ورواه الترمذي عن عبيد بن أسباط بن محمد عن أبيه به وقال : حسن غريب وحدثنا عثمان بن أبي شيبة : حدثنا الأسود بن عامر حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن سعيد بن عبد الله بن جريح عن أبي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله ﷺ A [يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عوراتهم يتبع عورته ومن يتبع عورته يفضحه في بيته] تفرد به أبو داود وقد روي من حديث البراء بن عازب فقال الحافظ أبو يعلى في مسنده : حدثنا إبراهيم بن دينار حدثنا مصعب بن سلام عن حمزة بن حبيب الزيات عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء بن عازب Bه قال : خطبنا رسول الله ﷺ A حتى أسمع العواتق في بيوتها - أو قال - في خدورها فقال : يا معشر من آمن بلسانه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع عورته ومن يتبع عورته يفضحه في جوف بيته] .

(طريق أخرى) عن ابن عمر قال أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي : حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا يحيى بن أكثم حدثنا الفضل بن موسى الشيواني عن الحسين بن واقد عن أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ A قال : [يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع عورته ومن يتبع عورته يفضحه ولو في جوف رحله] قال : ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة

فقال : ما أعظمك وأعظم حرمتك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك قال أبو داود : حدثنا حيوة بن شريح حدثنا قتيبة عن ابن ثوبان عن أبيه عن محكول عن وقاص بن ربيعة عن المستورد أنه حدثه أن النبي A قال : [من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها في جهنم ومن كسا ثوبا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله في جهنم ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله تعالى يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة] تفرد به أبو داود وحدثنا ابن مصفى حدثنا بقرية وأبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله A : [لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخشمون وجوههم وصدورهم قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم] تفرد به أبو داود وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي به . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدة أخبرنا أبو عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد العمي أخبرنا أبو هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال : قلنا يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسري بك ؟ قال : ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير رجال ونساء موكل بهم رجال يعمدون إلى عرض جنب أحدهم فيجذون منه الجذة مثل النعل ثم يضعونها في في أحدهم فيقال له كل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت يا محمد لو يجد الموت وهو يكره عليه فقلت : يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون واللامازون أصحاب النميمة فيقال : أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وهو يكره على أكل لحمه هكذا أورد هذا الحديث وقد سقناه بطوله في أول تفسير سورة سبحان والله الحمد والمنة وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا الربيع عن يزيد عن أنس أن رسول الله A أمر الناس أن يصوموا يوما ولا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس فلما أمسوا جعل الرجل يجيء إلى رسول الله A فيقول ظللت منذ اليوم صائما فآذن لي فأفطر فأذن له ويجيء الرجل فيقول ذلك فيأذن له حتى جاء رجل فقال : يا رسول الله إن امرأتين من أهلك ظللتا منذ اليوم صائمتين فآذن لهما فليفطرا فأعرض عنه ثم أعاد فقال رسول الله A : [ما صامتا وكيف صام من ظل يأكل من لحوم الناس ؟ اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن يستقيئا] ففعلتا فقاءت كل واحدة منهما علقة فأتى النبي A فأخبره فقال رسول الله A : [لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار] إسناد ضعيف ومتن غريب وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون .

حدثنا سليمان التيمي قال : سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله A أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله A وأن رجلا أتى رسول الله A فقال : يا رسول الله إن ههنا امرأتين صامتا وإنهما كادتتا تموتان من العطش أراه قال بالهجرة فأعرض عنه وأوسكت عنه فقال : يا نبي الله إنهما والله قد ماتتا أو كادتتا تموتان فقال : ادعهما فجاءتا قال : فجاءتني أو عس فقال لإحدهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصيد حتى قاءت نصف القدر ثم قال

سار الناس ذات يوم وبقي سلمان B هائما لم يسر معهم فجعل صاحبا ه يكلمانه فلم يجداه
فصربا الخباء فقلا : ما يررد سلمان أو هذا العبد شئنا غير هذا أن يجيء إلى طعام مقذور
وخباء مضروب فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول A □ يطلب لهما إءاما فانطلق فأى رسول
A □ ومعه قءح له فقال : يا رسول A □ بعثنى أصحابى لتؤءمهم إن كان عنءك قال A : [ما
يصنع أصحابك بالأءم ؟ قء اءءءموا] فرجع سلمان B ه يخبرهما بقول رسول A □ فانطلقا حتى
أءيا رسول A □ فقلا : والءى بعءك بالءق ما أصبنا طعاما منذ نزلنا قال رسول A □ : [
إنكما قء اءءءءما بسلمان بقولكما] قال : ونزلت { أءب أءءكم أن يأكل لحم أخيه مءتا }
أنه كان نائما .

وروى الءافظ الصفاء المقءسى فى كتابه المءءار من طرءق ءبان بن هلال عن ءماء بن سلمة عن
ءابء عن أنس بن مالك B ه قال : كانت العرب ءءءم بعضها بعضا فى الأسفار وكان مع أبى بكر
وعمر B هما رءل يءءمهما فناما فاسءىقظا ولم يهء لهما طعاما فقلا : إن هذا لنؤوم
فأىقظاه فقلا له : اءء رسول A □ فقل له إن أبى بكر وعمر B هما يقرءانك السلام
وئسءاءمانك فقال A : [إنهما قء اءءءءما] فءاءا فقلا يا رسول A □ بأى شء اءءءمنا ؟
فقال A : [بلءم أءىكما والءى نفسى بءه إنى لأرى لحمه بىن ءناياكما] فقلا B هما :
اسءفر لنا يا رسول A □ فقال A [مراه فلىسءفر لكما] وقال الءافظ أبو يعلى : ءءنا
الءكم بن موسى ءءنا ءمء بن ءسلم بن ءمء بن إسءاق عن عمه موسى بن يسار عن أبى هريرة
الأءرة فى لحمه إليه A □ قرب الءنبا فى أخيه لحم من أكل من [: A □ رسول قال : قال B ه
فىقال له كله مءتا كما أكلءه ءىا - قال - فىأكله وىكلء وىصء] غرب ءءا .

وقوله D : { واءقوا A □ } أى فىما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه فى ذلك واءشوا منه {
إن A □ ءواب رءىم } أى ءواب على من ءاب إليه رءىم لمن رءع إليه واءءءم علىه قال الءمهور
من العلماء : طرءق المءءاب للناس فى ءوبءه أن يقلع عن ذلك وىعزم على أن لا يعوء وهل
ىشءرء الءءم على ما فاء ؟ فىه نزاء وأن ىءءل من الءى اءءابه وقال آءرون : لا ىشءرء أن
ىءءفإنه إذا أعلمه بءلك ربما ءأى أشء مما إذا لم يعلم بما كان منه فطرءقه إذا أن
ىءنى علىه بما فىه فى المءالس الءى كان ىءمه فىها وأن ىرء عنه الءبءة بءسبه وطاقءه
لءكون ءلك بءلك كما قال الإمام أءمء ءءنا أءمء بن الءءاب ءءنا عبء A □ آءرنا ىءى بن
أىوب عن عبء A □ بن سلءمان أن إسماعل بن ىءى المءافرى آءبره أن سهل بن معاء بن أنس
الءهنى آءبره عن أبىه B ه عن النبى A □ قال : [من ءمى مؤمنا من منافق ىءءابه بعء A □
ءعالى إليه ملكا ىءمى لحمه يوم القىامة من نار ءهنم ومن رمى مؤمنا بشء ىرء سبه ءسبه
A □ ءعالى على ءسر ءهنم ءى ىءرء مما قال] وكذا رواه أبو ءاوء من ءءء عبء A □ وهو ابن
المبارك به بنءوه وقال أبو ءاوء أءضا : ءءنا إسءاق بن الصباء ءءنا ابن أبى مرءم

أخبرنا الليث حدثني يحيى بن سليم أنه سمع إسماعيل بن بشير يقول : سمعت جابر بن عبد
□ وأبا طلحة بن سهل الأنصاري Bهما يقولان قال رسول □ A : [ما من امرء يخذل امرءا
مسلمًا في موضع تنتهك فيه حرمة وينتقص فيه من عرضه إلا خذله □ تعالى في مواطن يحب فيها
نصرته وما من امرء ينصر امرءا مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمة
إلا نصره D في مواطن يحب فيها نصرته] تفرد به أبو داود